

لقد حظي موضوع الشخصية بالقسط الأوفر من الدراسة في المجالين الأدبي والنقدي. إذ ورد حضورها على المستوى السردى، بوصفها عنصرا رئيسا لتساوق حضوره مع نمطية وخاصة الكتابة السردية عبر اختلاف أشكالها، وبخاصة في الكتابة الروائية. ذلك أن الرواية تُعد من أكثر الأجناس الأدبية توظيفا وارتباطا بالشخصية. فقد حاز عنصر الشخصية على حيازة الاشتغال، كونه عنصرا مفصليا ومحفزا لعملية التعاقب والتتابع اللتين تحكمان مسالك البنية السردية. فإن استقصاء فاعلية مظهرهما وأثرهما، يعدُّ مرتكزا يتيح مكنة استنطاق وفهم التحولات والتغيرات الطارئة والمستغرقة ضمن منجز المتن الروائي. ولئن كانت المناهج النقدية الأدبية السياقية، كونها إحصائية مرجعية تدلل على الروابط والعلاقات السياقية التي تجمع الكاتب وطبيعة النص الذي ينتجه، ما هي إلا إنتاج متجدد للتجربة الإنسانية على النحو الذي يتصوره ويستشرفه الكاتب. فقد انساق تلك المناهج والأدوات الإجرائية صوب الحقول المعرفية الإنسانية التي عنيت بالكينونة الإنسانية عبر تشكيلها الفردي والجمعي، فكان البحث في عنصر الشخصية يتعالق مع المفاهيم التي ترتد على مباحث علم الاجتماع وعلم النفس، وذلك من خلال استقراء وتحليل الظواهر الأدبية التي تتمظهر ضمن إجراء مأخذ الكتابة على غرار ما يحدث عبر آليات المحاكاة ومُكن المطابقة وكذا مقدرات التناسب والانعكاس والإسقاط والتماثل الجدلي بينها إضافة إلى علاقتها مع عوالم الكاتب المبدع، إزاء هذا ترد المناهج النسقية قد انعطفت عن آليات هذا المؤدى السياقي، فاعتدت بمناويل المقاربة المحايدة التي تستنكح دلالة النص حيث تتمثلها أيقونات نصية مشبعة بحمولات دلالية لها مراميها المحددة، وفي ذات الوقت تصدر وفق توسع يباشر العلاقات والوظائف التي تؤديها لغة النص النسقية. فقد أفضى هذا التحول ومقتضى الانعطاف إلى إحداث نقلة كبيرة لدى رواد الحداثة وما بعدها الذين استشعروا في ذلك اعتقا من حرج سلطة الإحصائية المرجعية بين الشخص والشخصية الروائية إلى الانفتاح على آفاق جادة في البحث ومؤدى التقصي صوب حذو رحابة مقولات الشخصية ونمط اشتغالها عبر مسالك الدراسة العلمية والموضوعية في ضوء مفاهيم جديدة، كونها تحيلنا على مرونة النحوية ومقتضى الصرفية ولزومية اللسانيات وتقلبات نسقية العلامة السيميائية الدالة. انطلاقا من النقد الشكلاني المتمثل في أبحاث فلاديمير بروب "Vladimir Propp" مروراً بالأنموذج السردى الغريماسي، من ثم توسعت دائرة البحث وشملت أبحاث بريمون "Claude Bremond" وميشال زرافا "Zrava Michel" رولان بارت "Roland Barthes"، وفليب هامون "Philip Hammond"، الذي أضاف لبنة في غاية الأهمية لتبولوجية إجرائية للشخصية بالاعتماد على المقاربة السيميولوجية وفق أنموذج العلامة اللسانية. نتيجة كونها لم تتوقف على حد التوصيف بل امتدت صوب فاعلية التأويل. إن التحول الذي أحدثه الشكلانيون الروس في تناولهم لموضوع السرد الشكلي، الذي أعقب مطارحات ليفي شتراوس "Claude Lévi-Strauss" من جهة النسق المبتولوجي الذي اتخذ من الثيمة أو الوحدة الأسطورية "الأسطوريوم" *جوهرها في تحليل البنية السطحية لمحكيات الأسطورة، وعقب مطارحات فلاديمير بروب البنيوية، التي أفسحت لمفهوم النمط الحكائي السردى مخرجة إياه من مضائق المعتقد الذي كان سائداً، باعتبار السرد شكلاً أدبياً يرتفع إلى إطلاقية الفعل الإبداعي وإرسالية المؤدى الإنساني اللامتناهي، مما سيره كي يمتاح من ملكات التخيل المستوحاة من تمثيلات الصور العقلية (مأخذ التعيين للنظام) والخيالية (مسلك التمثيل الافتراضي)، وأثبت من منطلق بنيوي أن البنية الحكائية باختلاف مواضيعها ومضامينها هي في حقيقتها جهاز صارم من الأنساق الهيكلية التي تعضد تركيب الحكاية وهي على نحو من الاتساق عبر وحدات سردية ثابتة ودائمة الحضور. وبغض النظر عن تنوع المضامين التي تتحرك ضمنها تلك الوحدات السردية، فقد ركز "فلاديمير بروب" على الأنساق الهيكلية للبناء السردى التي تحكم نظامها وتعاقبها وترتيبها، وهي أنساق تجلّيها العلاقات الكامنة بين الوحدات عبر الأفعال والوظائف. ولهذا يتشكل عبرها البعد الدلالي القاعدي للبناء الحكائي. فهي متغيرات ومتممات ثانوية ومساعدة سياقية خارجية لا متناهية، يحكمها البعد الاستبدالي والاختياري الذي يرتفع إلى القدرة الإبداعية للمحكي. لدى الشكلانيين عبر تبنيهم للمقاربة اللسانية البنيوية في تحليل الخطاب المحكي، ذلك أن المقاربة البنيوية كانت تقتضي إخضاع البنية السردية إلى محوري التعاقب الذي يمثل لمبدأ العلاقات الثابتة التي تنهض عليها الوحدات السردية، والمحور المركزي الذي ينفتح على الملمح الإبداعي لجماليات الأساليب التعبيرية وملكات التمثيل المجازي والتوظيف الاستعاري للغة الخطاب السردى. فإن التركيز على الوظائف الثابتة في البنية الحكائية بوصفها أفعالا متواترة ودائمة الحضور، تتشافع آليا مع غرض إيلاء الاهتمام إلى الوحدات السردية الثابتة المسؤولة عن تلك الأفعال، تأخذ وحدة الشخصية تموضعها الجوهري بوصفها عاملا رئيسا ومحوريا في إنجاز تلك الوظائف، وقد مثل هذا التقابل (شخصية / وظيفة)، منطلقا جديدا في الاشتغال النقدي للسيميائيات السردية، الذي تشكلت مراميه النظرية لدى غريماس "Algirdas Julien Greimas" وكورتيس "Joseph S. Curtis" الذي أكد على أن طرائق تحليل الخطاب السردى، تستوجب توزيعه وفق مسارين أولهما توليدي

ينطلق من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وثانيهما تحويلي يسلك مسلكا معاكسا، اعتمادا على ما أسماه بالأنموذج العاملي "Modèle actantiel" الذي بدوره يتقصى دوائر أفعال الشخصيات ضمن تمثلاتها التأويلية، التي تضد لها لغة الكتابة المبدعة مراميها البنائية، التي تنزع إلى الأساليب التعبيرية المجازية والاستعارية، التي تمكن من كشف مؤدى أدبيات النص وشعرياته عبر توظيف لغة جمالية، تسهم بدورها في استظهار محمولات التشكل التصويري والرمزي، تمكن من إعادة تشكيل التجربة الإنسانية كما يتصورها المبدع. فالاستعارة La métaphore بوصفها تصويرا بلاغيا يقتضي مجراه التركيبي بانتزاع كلمة من شيء يختص بها إلى شيء آخر لا علاقة له بها، كما يعرفها ابن المعتز. تعتبر من الأدوات البلاغية الأكثر توظيفا في الكتابة الروائية التي لا تقف عند تصوير الواقع، وإنما تنبهي إلى إعادة تمثيل التجربة الإنسانية بمختلف هيئاتها وصورها الظاهرة والمضمرة، عبر الاستعانة بالبنى الاستعارية التي تتوزع على تعددية المواضيع، حيث تشتغل الاستعارة الاتجاهية على التمثيل لصور المكان، وتلتف الاستعارة الانطولوجية إلى التصورات المجردة كالحب والباطل والحق، أما البنيوية فتجنح إلى مقولات الموت والحياة. فإن التحليل النقدي للبنيات الاستعارية، وبخاصة في ملمحه المعرفي يتشافع مع حاجة القارئ كما الناقد إلى فك تلك الرمزية التي تؤدها اللغة الشعرية، وتعزيز نطاق فهم أوسع للخطاب الروائي، ضمن ما تؤديه المتتاليات الاستعارية التي يعتمدها الكاتب في إحداث تأثير أعمق، وتصويره للتجربة الإنسانية والعلاقات الاجتماعية، من خلال عملية ربط محكم بين لغة الكتابة والمكنة الإبداعية، التي تنزع إلى توظيف المقولات الاستعارية وتوزيعها على الوحدات السردية بحسب مواضع الاشتغال، حيث تؤدي الاستعارات عبر مختلف قرائنها والتي تلحق بوحدة الشخصية صدارة الحضور في الخطاب الروائي، بالنظر إلى الدور الذي يؤديه في بناؤه السردية. تشكلت لدينا الرغبة البحثية الملحة، في السعي إلى مباشرة مسالك استقصاء تجلي البنيات الاستعارية وأنساقها التصويرية، بغرض تفكيك تشكلاتها الداخلية والكشف عن وظائفها الدلالية من خلال تجلياتها في عنصر الشخصية ضمن البنية السردية وتمثلها في نمط من كتابة وأسني الأعرج الروائية. ولهذا، فقد اختص البحث بمسلك من الاشتغال التحليلي، الذي وسمناه بـ "دلالة الشخصية الاستعارية في الخطاب الروائي _ مقاربة سيميائية _ في رواية "حكاية العربي الأخير 2084 لواسيني الأعرج". وتأتي هذه الدراسة باعتبارها رافدا من روافد الدرس الأدبي النقدي في مجال الرواية مع الإشارة أنها مسبوقة بجملة من الدراسات الأكاديمية التي تعرضت للرواية. أما عن اختيارنا للموضوع فكانت له مبرراته ومسوغاته، فالشق الأول من العنوان "دلالة الشخصية الاستعارية" نلفيه يجمع بين قرينتين متناظرتين في دلالتهما المعجمية ولئن كانت الشخصية تعنى بما تؤديه ضمنا للحقلين الأدبي والنقدي، وهي تتكشف في الأدب بوصفها مكونا هاما من مكونات العمل الإبداعي، كما تعتبر المحرك الرئيسي للأحداث، وامتظهرة في النقد باعتبارها عنصرا قابلا للتوصيف والتحليل والتفكيك والتفسير والتأويل، فإن الاستعارة لا نجد لها تمثلا إلا في الحقل البلاغي الجديد الذي تتموضع فيه بحياسة منزلة رحبة، لما تؤديه من فاعلية في تشكيل الخطابات وهيكله أنسجتها وتحقيق جمالياتها. وضمن هذا الإطار استرعى اهتمامنا لهذا التواشح بين الحقلين، لعدم الالتفات لهذه العلاقة في دراسات سابقة، وقد سعينا في هذه الدراسة إلى إضاءة أواصر العلاقة بينهما من خلال تموقعهما الاستراتيجي داخل الرواية. أما الشق الثاني من العنوان، فينزع إلى طبيعة اختيارنا لمدونة الاشتغال، باعتبارها أنموذجا رئيسا للبحث. وقد جاء هذا الاختيار متقصدا، لإبراز تمثلات انفتاح هذه الرواية وشخصياتها على أجناس أخرى ومعارف وفنون متعددة وذلك من باب التجريب وإتباع تقنيات الرواية الجديدة، حيث تفرّد الأنموذج المختار بلغته المفككة وخصوصية السردية، وفضائه المستغلق وشخصياته القلقة وأمكنته المنذرة بالغياب والمحو. فأسهم هذا الانفتاح والتجريب في تموقع أثر الإبداع الروائي في دائرة الحداثة وما بعدها، لأننا لاحظنا بعض الأحكام الذوقية المتصلة بأفق التلقي التي وجهت للرواية. تتراصف أمامنا مجموعة من الاستفهامات نجملها ضمن تساؤلات البحث: تساؤلات البحث: 1) ما مفهوم الشخصية الروائية؟ 2) كيف كانت نظرة نقاد الحداثة والمعاصرين لها؟ 3) ماهي مكونات الأفق التصوري للشخصية الاستعارية؟ 4) هل يمكن إسقاط هذه الأفاق على رواية حكاية العربي الأخير؟ 5) كيف يسهم الخطاب الروائي في تفعيل الاشتغال الاستعاري؟ 6) ماهي دلالات الشخصية الاستعارية في رواية حكاية العربي الأخير؟ إن هذا المنحنى التساؤلي وتراتبية مطارحته ارتهن مأخذ البحث صوب اللجوء إلى محاذاة المناهج النسقية وآلياتها قصد مسالة البحث من جهة إثراء المكون النظري و مراميه المعرفية من جهة، محاولة منا في تظهير مضمرة العملية لطبيعة الصوغ السردية ودلالاتها عبر الأثر الأدبي الذي اخترناه، فاستعنا بالمأخذ النسقي البنوي والسيميائي والسوسيولوجي لتماشبههم وموضوع الشخصية، أما الأسلوب في السيميائية تنزع إليه من جهة مراميه الانزياحية في الأداء الاستعاري والتشكل الرمزي، وإزاء هذا المكون المنهجي النسقي المتداخل، تقصدنا الجوهر الملائم المتمثل في المقاربة السيميائية كونها أكثر اقترابا من الخطاب السردية وأنفذ اشتغالا في بحثنا وفي ذات الوقت لكونها أكثر المناهج التي ترمي إلى

مباشرة النظام الدلالي انطلاقاً من متسع التشكل السردى إلى ما يتنزل تحته من الوحدات الدلالية الصغرى كي تخرج إلى محصلة
مكوّنه الإجمالي، ذلك أن الوحدات الجزئية المعنوية للنظام السردى، بحيث تكاد السيميائيات من بين المناهج كي تتخذ قرباً
تفاعلياً من النسق السردى، وذلك لأن اللغة الساردة أو الحوارية أو حتى الإخبارية للخطاب المحكى لا يرتهن وجودها في تظهير
"المحتوى" في حدّ ذاته أو مكرسة لفرادة المضمون بقدر ما هي تسطير وتجزئ له بكيفية نظامية عالية كي تؤكّد في الحاصل "أنظمة
دلالاته من جهة مواضع الاختلاف المعنى". ولعل هذا المأخذ لوظائف اللغة كونها تنزع إلى نمط من الانفتاح كي تتحول لدى المتلقي
إلى سيرورة من الانتهاك المتلاحق، ولهذا فالسيميائيات السردية هي سيميائية تأويلية بالأساس لدلالات أنظمة الخطاب السردى
ولهذا فهي لا تعدو أن تكون منهجاً تأويلياً للتحصيل الآلى للدلالة في نحو من التفسيرية الآنية، بقدر ما هي تعامل وضع أنظمة تراكيب
النصوص السردية للخطاب الروائى معاملة تخرجها من العمومية الإجمالية والشمولية التعيينية، وإزاء هذا فهي تتموضع ضمن
"حقل بينى (interdisciplinary) يتقاطع بين التركيب الكلى والتراكيب الجزئية، مما يلزمها كي تتشافع ومؤدى مسلك التأليف
التصوري والإجرائى كي تتقصد مراميه التأويلية في علوم أخرى، لأن مقتضى مركب الخطاب الروائى يتضمن التعدد اللامتوقع
والمختلف والمتشاكل من مجتزأ أنظمة التراكيب الجزئية. ولهذا استندنا على جملة من الأدوات الإجرائية كالتحليل والاستنباط
والانتقال من النظرية إلى الممارسة. وقد تعاملنا مع هذه المناهج باعتبارها معالم هادية دون أن تكون ملزمة لنا، وتبعاً لذلك تبدّت
الرؤية المنهجية لموضوع البحث وفقاً لزدواجية الرؤية التحليلية القائمة على المقاربة بين الطرح النظرى والملح التطبيقى على
نحو تقسيمي تصدّره مدخل تمهيدى قدّمنا من خلاله أرضية علمية توخينا فيها ضبط مفهوم الشخصية ضبطاً معجمياً واصطلاحياً
وتوظيفياً قصد تجنب التداخل المفاهيمى الذى لمسناه في بعض المجالات والعلوم. وعرجنا إلى سيرورة الشخصية الروائية بين
المناهج والنظريات مما استوجب وأولينا عناية خاصة بالشخصية، كونها علامة لها نظامها التفاعلى وفي الحاصل فهي تشكل
قسماً جوهرياً في ضوء المقاربة السيميائية. وهكذا، تهياً لنا ملامسة أفق التحليل باستشراف عتبة الفصل الأول الموسوم "مكونات
الأفق التصوري للشخصية الاستعارية" حيث انطلقنا من الأفق الميتولوجى للشخصية الاستعارية وأحطنا هذا الأفق بضبط
مصطلح الميتولوجيا معجمياً واصطلاحياً ثمّ علاقته بالرواية والنقد مروراً بالشخصية الاستعارية ثمّ انتقلنا إلى الأفق الأيديولوجى
حيث وقفنا على دلالة الأيديولوجيا وفقاً للإفراز الاصطلاحى إثر ذلك باشرنا وأصر العلاقة بينه وبين الأدب والرواية واخترنا
مقومات الرواية البوليفونية لارتباط هذه الأخيرة بعنصر الشخصية ولالتماسنا تناسبها وشخصيات روايتنا. وعرجنا على الأفق
المعرفى وقدّمنا فيه مفهوم المعرفة مروراً بالحديث عن المعرفة الأدبية ثمّ البعد المعرفى للرواية، ثمّ تقصدنا التوجه للأفق التجريبي
(الرقمى) لتجاوزها للمألوف وخرقه السائد وانزياحه عن الشائع فحاولنا التطرّق إليه من خلال ماهيته وتجلياته في ضوء النقد
والإبداع وفق طبيعة التمثيل لدى الغرب وفي ضوء مواضع التمثيل العربى، وكيفية تشكل الشخصية في هذا الأفق وانتقينا من
خلاله موضوع أدب الخيال العلمى باعتباره عنصراً متولداً منه ولأنّ هذا النوع من الأدب يمكن إسقاطه على روايتنا فتوخينا
مفهومه ومفهوم رواية الخيال العلمى وكيفية تشكل الشخصية في روايات أدب الخيال العلمى La Science-fiction . مع التنويه
أننا درسنا كلّ أفق على حدّاً بغية التوسع في المفاهيم وذكر علاقة كل أفق بالرواية وصولاً إلى الشخصية ولم ندرسها بغرض تقصي
مسار تحولها. في حين، نزع الفصل الثانى إلى "دراسة الخطاب الروائى عبر فاعلية الاشتغال الاستعارى"، وقد انطلقنا فيه برصد
أهم النظريات الفلسفية للاستعارة بدءاً بالنظرية الاستبدالية التي تنبني على التصور الأرسطى مروراً بالنظرية التفاعلية التي بدورها
تستند على مجموعة من التصورات انطلاقاً من تصور أيفور أرمسترونغ ريتشاردز "IvorArmstrong Richards"، ثمّ تصور ماكس
بلاك "Max Black" وتصور بول ريكور "Paul Ricœur" وتصور جورج لاكوف "George Lakoff" ومارك جونسون "Mark
Johnson"، انتهاءً بالنظرية التداولية التي تستند على تحليل جون سيرل "JohnSearle"، ثمّ بحثنا في العلاقة بين السرد
والاستعارة وفق النظريات الاستعارية، وانتقلنا إلى النظرية التفاعلية للاستعارة وآفاق تحليل الرواية مروراً بالتصور الاستعارى
واللغة الاستعارية وتوظيفها في الدرس الأدبى، ثمّ عمدنا إلى آخر مبحث موسوم بالأسطورة والاستعارة وتقصينا فيه التصور الغربى
للعلاقة التبادلية بين الأسطورة والاستعارة واخترنا تصور بول ريكور وتصور كلود ليفي شتراوس، وتصور أرنست كاسيرر "Ernst
Cassirer" ونورثروب فراي "NorthropFrye" وأخيراً التصور العربى للاستعارة والأسطورة. وضمن ذات المسلك التعاقبى، يرد
الفصل الثالث باعتباره فصلاً إجرائياً ينجح إلى، محاولة استقصاء "مراتب دلالات الشخصية الاستعارية في رواية حكاية العربى
الأخيرة 2084"، فقد توجهنا صوب مقاربة إجرائية الأنموذج التحليلى لـ "فليب هامون ضمن وسم أنموذجه: سيميولوجية الشخصية
الروائية" كونها أكثر المقاربات اقتراباً من دلالات الشخصية من جهة سبر مضموماتها النفسية والسوسيولوجية بمعزل عن كونها

تشكلا وهيئة قبلية وجامدة، كونها ترتين إلى طبيعة جهات التقابل، إثر هذا انتقلنا إلى مقارنة الأفق السيميائي للشخصية الاستعارية وفق التصورات التي طرحناها (الميثولوجي والايديولوجي المعرفي والتجريبي)، ثم عطفنا إلى جهة التعرف على تعيينية الشخصية نسقيا وإيحائيات القناع وتراكيبه وتبدلاته الدلالية، فتناولنا دلالات تشكل الشخصية والقناع في رواية حكاية العربي الأخير، إذ انتهيا إلى دلالات تشكل الشخصية في مقابل مؤدى الرمز ثم دلالات تشكل الشخصية في مقابل مؤدى الاستعارة. وفي الختام خلص البحث إلى محصلات جملة من المطارحات المركزية التي توصلنا إليها في حذو مسعى مطاولة البحث لها، ثم أردفنا البحث بقائمة المصطلحات العلمية الموظفة مترجمة إلى الفرنسية والانجليزية وملحقا ببطاقة تعريفية للكاتب وأسبني الأعرج وأهم مؤلفاته وقائمة لأهم المصادر والمراجع التي استعنا بها في بحثنا المتواضع وأخيرا فهرسا لموضوعات البحث. وقد اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع التي ذلت لنا كأداء مسالك التقصي والبحث،